Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 27:1 (1992

الإســـــلام والقـــــوميـــــة
(القسم الأول) *

د. حسن أحمد الحيارى

مقدمة:

تعد العلاقة بين الإسلام والقومية من أهم المواضيع التي يجب إماطة اللثام عن حقيقتها . لما لهذه العلاقة من آثار واسعة النطاق على مجريات الأحداث فى دول العالم بشكل عام و دول العالم الثالث بشكل خاص . وبالرغم من قدم هذه العلاقة ، فإنها ما زالت غامضة في أذهان أغلب الناس حيث استغلت أبشع أنواع الاستغلال من الذين لا يريدون إلا الشر والسوء للإنسان والإسلام . وقد تراكمت الأحداث التاريخية عبر التاريخ وازدادت حدة في هذه الأيام انعكاسا لما استقر في أذهان الناس من معلومات خاطئة حول نوع هذه العلاقة . وقد استغل المستشرقون هذه العلاقة بشتى الأساليب والطرائق عن طريق إذكاء الشعور القومى بين الأقوام التى تدين بالإسلام بهدف الوصول إلى ما تتوق له الأنفس الأجنبية الحاقدة على الإسلام أولا وعلى شعوب التي تدين بالإسلام ثانيا . ومن المؤسف حقاً أنهم قد حققوا الشيء الذي كان بالنسبة لهم بمثابة الأمنية التي يريدون أن ينظروا من خلالها الى الإسلام وهو مشوه في أذهان المسلمين والى الأقوام التي تدين به وهم تبع لهم في كلفة مجالات الحياة . وهذا ما تحقق لهم بالكامل في القرن العشرين بعد إثارة النعرات القومية والطائفية بين الأقوام الذين كانوا يدينون بالإسلام في ظل الخلافة العثمانية ، حتى ذهب المسلم من هؤلاء القوم يحارب أخاه

---

* سوف ينشر القسم الثاني من هذا المقال في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

المسلم مخالفاً بذلك النصوص القرآنية الكريمة لينشد الى نظرية العرق التي زرعها أعداء الإسلام والشعوب في نفوس المسلمين ، بهدف القضاء على الإسلام واستغلال الشعوب التى تدين به. وهذا ما حصل فعلا إذا ما تأملنا وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو وما انعكس عنهما في أذهان الناس في هذه المنطقة من منطلقات فكرية . فالكل يلعنهما كلاما ويحافظ على ما جاء فيهما من إثارة نعرات إقليمية و عرقية فعلا وسلوكا ، هذا بجانب الحفاظ التام على الحدود المصطنعة التي شيدت بناء على ما جاء في المعاهدتين السابقتين . وقد يجري بنا سياق الحديث لنرى في الجهة الأخرى ماذا حدث للمسلمين الأتراك بعد أن أشرنا باقتضاب الى ما حدث لإخوانهم العرب المسلمين ، بعدهزيمة دولة الخلافة في تركيا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، حيث لم يكتف أعداء الإسلام والشعوب بتقسيم المنطقة العربية الى مناطق نفوذ تابعة للإنجليز والفرنسيين ، هذا بجانب إرساء قواعد دولة إسرائيل على حساب الشعب العربى الفلسطينى المسلم ، وإنما ذهبوا ليضعوا شروطهم التي تعكس عداوتهم للإسلام واللغة العربية ، حيث أملى الإنجليز شروطهم الأربعة ، المعروفة بشروط كروزون . وهذه الشروط هي :

١– أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

٢– أن تلغي الخلافة .

٣– أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٤– أن تختار تركيا لنفسها دستورا مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمدمن أحكام الشريعةالإسلامية والقائم على قواعدها(١).

لذلك اختارت تركيا الدستور المدنى السويسرى ، واستخدمت الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، ومنعت إقامة الأذان باللغة العربية ، ومنع تعليم الدين والقرآن في المدارس ، تنفيذاً لهذه

الشروط. لذلك ظهر الاتجاه القومى عند كافة الأقوام التي تدين بالإسلام في قارتى آسيا وإفريقيا وظهرت انعكاسات الأفكار الغربية التي تحاول هدم الإسلام في شتى مناحي الحياة في تلك الدول التي وجدت نفسها تحت أقدام عدوها منهوكة القوى عسكريا واقتصاديا وحضاريا بسبب الفكر القومي المسموم الذي نفثه الغرب في أذهان أبناء الأمة الواحدة ، ليجد كل قوم منهم مصيره البائس أمام الهجمة الغربية الشرسة على كل ما يعتز به من حضارة وتاريخ وثقافة ، وليجد أبناء كل قوم أنهم أصبحوا تبعا لأسيادهم في كل سمة من سمات العصر .

إن الشيء المذهل حقاً أن نجد بعض الأقلام الجاهلة أو المأجورة، والأفواه الحاقدة أو المعبأة بدون علمها قد ذهبت جميعها لتنادي بإعدام الإسلام وتعاليمه وكل من يتخذه نهجا متذرعين أن سبب تخلفهم في شتى مناحي الحياة يعودالى هذا النهج الإلهي المنير ، فلم يكفهم أنهم كانوا أدوات في أيدي أعداء الأمة الإسلامية عندما استخدموا في إثارة النعرات القومية والإقليمية بهدف القضاء على الأمة الإسلامية ، بل إنهم مصرون على هذه المكانة الوضيعة في خدمة أعداء الإسلام لهدم أركان الإسلام وكل من ينادي باتخاذه نهجا حياتيا بعد أن نجحوا على أيدى أسيادهم في تمزيق جسد الأمة المسلمة . فالكل منا يعرف أن الإسلام الحقيقي هو المحارب في كافة أرجاء المنطقة العربية والإسلامية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحضارة الإنسانية .

إن التناقض الذي تعج به المجتمعات العربية والإسلامية يعود بشكل كبير إلى سوء الفهم للعلاقة التي تربط الإسلام بالقومية ، سواء أكانت القومية عربية أم أعجمية . ولما لهذا الموضوع من آثار واسعة النطاق على حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها فإننا سوف نتناول هذا

الموضوع بالبحث والدراسة الموضوعية للوصول بعون الله الى حقيقة هذه العلاقة وما يترتب عليها من اعتقادات وممارسات . لذلك فإننا سنعرض في هذه الدراسة نبذة تاريخية موجزة عن الإسلام والتعريف به وسمات المجتمع المسلم ، ونبذة تاريخية عن القومية وسمات المجتمع القومي ، ونبذة تاريخية موجزة عن العلاقة بين الإسلام والقومية .

حقيقة الإسلام :

يجدر بنا الإشارة في هذه الدراسة الى حقيقة الإسلام كما وضحها الحق سبحانه وتعالى في كتابه المنير ، علنا في هذا التوضيح نساهم بالقدر المستطاع في توضيح الفرق الشاسع بين الإسلام والقومية بشكل عام ، والإسلام والعروبة بشكل خاص . وقد استبدل المفهوم الحقيقي للإسلام بمفاهيم غريبة عن أسس الإسلام بهدف الوصول الى ما تشرئب له النفوس من ملذات و أطماع شهوية على حساب المفهوم الحقيقي للإسلام وتعاليمه المؤثلة المجيدة . وقد حاول جم غفير من الكتاب والمؤلفين والساسة والمفكرين الاستخفاف بعقول العامة في تمييع المفاهيم الحقيقية للإسلام واستبدالها بمفاهيم شاذة تناسب أهواءهم وأطماعهم الدنيوية بعد أن ألبسوها أزياء إسلامية مملوءة بالزيف والخداع. إنه لا بد من الإفصاح عن مدلول هذه الكلمة بكل السبل والطرق المتاحة بعد أن أصبح الإنسان الملتزم بما يمليه عليه الإسلام من عقائد وأنواع سلوك، يشار اليه على أنه رجعي تارة ، ومتطرف تارة أخرى ، هذا بالإضافة الى وصفه بالتخلف والتزمت ، والتشدد ، والتعصب واذا ما حاول هذا الإنسان ان يدفع عن نفسه هذه التهم المغرضة بالحجة والبرهان مستنداً بذلك الى ما جاء في الكتاب الحكيم ، وجد نفسه أمام عدو أشر يمتلك القدرة على إلصاق كافة التهم والادعاءات الباطلة حوله ، هذا بالإضافة الى إنزال شتى أنواع العقوبات والتهديدات اذا ما رفض

الاستقطاب نحوهم عن طريق شرائه بالأموال واغوائه بالمراكز الوظيفية . تبدأ هذه المناورات اللاأخلاقية بالمطاردة والاستجواب مروراً بتضييق سبل العيش عن طريق الطرد من الوظائف حتى تنتهي في بعض الأحيان الى الإهانة في أقبية السجون وتقديم الأعناق إلى أعواد المشانق. والعجب الذي لا يربو عليه عجب أن كل هذه الأعمال المخزية التي تعجز الكلمات عن وصف وحشيتها وقبحها تحدث على مرأى ومسمع الناس كافة تحت شعارات القومية والإسلام. وبهذه الأعمال الغوغائية المتناقضة مع بعضها بعضا التي أباحت دم الأبرياء و المخلصين من أمة محمد ، يكون أصحاب القرارات ومنفذوها قد برهنوا على صدق ولائهم لأعداء الإسلام ، وعلى هذه الجرائم البشعة استحقوا الحماية الأجنبية لهم من شعوبهم المغلوبة على أمرها . ولكي يخفوا هذه الحقيقة – حقيقة ولائهم لأعداء أمتهم – ذهبوا الى الحديث وإلقاء الخطب والأهازيج الوطنية التي تظهر وطنيتهم و حبهم لأمتهم و عقائد مجتمعاتهم ليضلوا بها السواد الأعظم من الناس. وإن التاريخ الإسلامي يغص بالمعلومات الجمة الوفيرة عن علماء التوحيد وأبناء القرآن البررة الذين دفعهم إيمانهم الى ركوب الأخطار عن طريق كشف العابثين المشوهين لحقيقة الإسلام ، وكان ثمن ذلك أن قدموا أعناقهم أضاحي للحق والدفاع عن بيضة الإسلام . وقد كتمت جميع فضائلهم وتم تحريرها الى مثالب بهدف الاستخفاف بعقول العامة والسيطرة عليها بالأوهام والمفتريات التي تحررها وسائل إعلامهم .

إن الحديث قد يطول إذا أردنا أن نصف الممارسات اليومية للأفراد والجماعات فى المجتمعات التي تعج و تموج بالتناقضات حول الإسلام والقومية ، ولكننا سوف نكتفي بهذا العرض الموجز السريع للوصول الى المراد ، دون الاسهاب والإطناب .

إن الإنسان شهد على نفسه بالحقيقة الأولى التي ينادي بها الإسلام قبل وجوده التاريخي والمادي على سطح الكرة الأرضية ، إنه شهد بألوهية الحق تبارك وتعالى وهو فى السموات العلى ، وهو في عالم الذر عندما أشهد الحق سبحانه و تعالى ذرية آدم على أنفسهم ، فشهدوا له بالربوبية والألوهية .

قال تعالى :﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ (٢).

وبعد أن تقرر إذن الهبوط لآدم و حواء وعدوهما إبليس الى الأرض ، وعد الحق سبحانه وتعالى بنى آدم أن يبعث لهم النهج السديد الذي يقودهم الى سدرة الحق والصواب و يخفف عنهم شقاء الحياة الدنيا والفوز بنعيم الآخرة . إن الهبوط من السماء الى الأرض يشكل العناء والتعب والكد والمكابدة ، والشقاء للإنسان . ولكن الإنسان لم يذعن الى توجيهات الحق سبحانه وتعالى عندما أمره أن يتخذ الشيطان عدواً وأن لا يقرب الشجرة التي أمره بالابتعاد عنها . فكانت مخالفته لأوامر الله سبحانه وتعالى السبب وراء هبوطه مع عدوه الأشر إبليس عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين . فجاء هذا الوعد من الحق سبحانه وتعالى لآدم وذريته بمثابة العطف والرحمة الإلهية لهذا المخلوق الضعيف أمام عدوه إبليس ليتبع الهدى الذي سيرسله الحق سبحانه وتعالى للإنسان على سطح الكرة الأرضية ليقوي من قدرته على مقاومة وساوس و أحابيل عدوه السرمدي الذي لا يفارقه قيد لحظة .

قال تعالى : ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب**

النار هم فيها خالدون ﴾ (٣).

إن هذا الهدي الذى يمثل النجاة الحقيقية للإنسان على هذا الكوكب ويخلصه من شرور عدوه ويقوده إلى الفوز بنعيم الدنيا والآخرة سيصل الى الإنسان عن طريق الرسل الذين اختارهم الحق سبحانه وتعالى ليكونوا منذرين ومبشرين للإنسان .

قال تعالى : ﴿ **يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى و أصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾** (٤) .

إن الهدى الذي جاء به الأنبياء والرسل من عند ربهم للإنسان هو الإسلام الذى هتف و نادى به جميعهم دون استثناء ابتداء بسيدنا نوح عليه السلام وانتهاء بخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم؛ لذلك جاء فصل الخطاب في قول الحق سبحانه و تعالى كدليل جازم على ان الدين عند الله الإسلام فقط ومن يتبع غيره ديناً يعد من الخاسرين.

قال تعالى :﴿ **إن الدين عند الله الإسلام و ما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾**(٥) .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾** (٦) .

لذلك ليس غريباً أن نجد كلمة مسلم و أسلم و مسلمين قد نادى بها ، أو وصف بها أناس منذ سيدنا نوح عليه السلام ، وليس كما يفهمه السواد الأعظم من الناس في هذه الأيام بأن كلمة مسلم بزغت الى حيز الوجود في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وسوف نورد الأدلة القرآنية القاطعة التي توضح أن الأنبياء والمرسلين

كان هدفهم الوحيد توصيل رسالة الإسلام الى الناس ليبشروهم بالجنة إذا ما أنابوا واستقاموا لهذا النهج الإلهي المنير، وينذروهم من عقاب جهنم إذا ما صدفوا عن طريق الحق والنور المتجسدة في دين الحق وهو الإسلام .

الدليل الأول :

ان سيدنا نوح عليه السلام أول من نادى و هتف باسم الإسلام، فقد بعثه الباري عزوجل الى قومه يدعوهم الى الإنابة والاستقامة وتفويض أمورهم لخالقهم تعالت وجلت قدرته ، وقد مكث فيهم تسعمائة وخمسين عاما وهو يدعوهم إلى أن يسلموا للحق سبحانه وتعالى .

قال تعالى :﴿ **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ (٧).

وقال تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري على الله وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ (٨) .

الدليل الثاني :

أما بالنسبة إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه كان حنيفا مسلما بالرغم مما دار حوله من خلاف بين الطوائف المتعددة . وكل من يسلم وجهه لله يكون قد اتبع ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى : ﴿ **ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا**

ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ (٩) .

وقال تعالى :﴿**ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾** (١٠) .

الدليل الثالث :

وإيماءة إلى سيدنا يعقوب عليه السلام فقد أوصى أبناءه أن يعبدوادين الآباء والأجدادالمتمثل في دين الإسلام وأن يسلموا ويفوضوا أمورهم للحق سبحانه وتعالى﴿ **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذحضريعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ونحن له مسلمون﴾** (١١) .

الدليل الرابع:

حقيق بنا فى هذا المقام أن ننوه بقصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الملكة بلقيس ، حيث تدور أحداث القصة حول طلب سيدنا سليمان من الملكة بلقيس وقومها أن يأتوا مسلمين ، وكيف كان رفضهم لهذا الطلب في بادئ الأمر ثم كيف أعلنت الملكة بلقيس إسلامها وفوضت أمرها لرب العالمين . ويبدوذلك جليا في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ﴾**(١٢).

ويظهر إسلام الملكة بلقيس وإنابتها للحق سبحانه وتعالى في قوله عزمن قائل : ﴿ **قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قواريرِ**

قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (١٣) .

الدليل الخامس :

إنه حري بنا أن نعلم أن الباري عزوجل عندما أرسل المرسلين لإنزال العقوبة على قوم لوط المسرفين باستثناء المسلمين منهم ، لم يجدوا سوى بيت واحد فقط من المسلمين ، وهو بيت سيدنا لوط عليه السلام خلا امرأته حيث كانت من الغابرين . وهذا دليل ساطع على أن سيدنا لوطاً كان مسلماً يدعو إلى الإسلام .

قال تعالى : ﴿ **قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾**(١٤).

الدليل السادس :

لا مندوحة لنا في هذا المقام من أن نشير إلى دعاء سيدنا يوسف عليه السلام عند ما شكر الله سبحانه وتعالى على ما آتاه من الملك والعلم وتأويل الأحاديث وطلب من خالقه أن يتوفاه مسلما ويلحقه مع الصالحين . ويبدو ذلك جلياً فى قوله عز من قائل :

﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾** (١٥) .

الدليل السابع :

إنه لحقيق بنا أن نذكر نداء سيدنا موسى عليه السلام لقومه وما حدث مع سحرة الطاغية فرعون عند ما أعلنوا جهراً إسلامهم متحدين بذلك فرعون وجنده . مما أثار حفيظة فرعون عندما شاهدهم بأم عينه وهم يعلنون إيمانهم برب موسى وهارون بعد ما

حصحص الحق أمام أعينهم و تبين لهم أن السحر لا يغني عن الحق شيئا . فقد توعدهم بجميع صنوف العذاب بسبب إسلامهم برب موسى وهارون .

علما بأنه كان يعدهم منذ لحظات قليلة أن يكونوا من المقربين إذا كانت لهم الغلبة على سيدنا موسى عليه السلام . وما كان من السحرة في هذا الموقف الجازم إلا أن توجهوا للرحمن عزوجل ليثبتهم على إسلامهم وأن يتوفاهم مسلمين . أما نداء سيدنا موسى عليه السلام لقومه فيبدو جلياً في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ (١٦) .

وأما بالنسبة إلى دعاء سحرة الطاغية فرعون فيظهر بجلاء بقوله عز من قائل : ﴿ **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين** ﴾ (١٧).

الدليل الثامن :

وحري بنا أن نشير إلى حواريي سيدنا عيسى عليه السلام عند ما دعوا الحق سبحانه وتعالى أن يكون شاهداً على إسلامهم وقبولهم دعوة سيدنا عيسى عليه السلام و يبدو ذلك ظاهراًجليا في قوله عز من قائل في الآيتين الكريمتين التاليتين :

قال تعالى : ﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** ﴾ (١٨) .

وقال تعالى : ﴿ **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾ (١٩).

الدليل التاسع :

تجدر الإشارة إلى أهل الكتاب اعترافهم بأنهم كانوا مسلمين

وإقرارهم بذلك قبل نزول القرآن على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسماعهم به . ويظهر ذلك بوضوح في قوله عز من قائل : **﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾** (٢٠) .

كما أن القرآن الكريم قد أنار السبل لكل من أراد أن يصل إلى سدرة الصواب في دعوة أهل الكتاب و مناقشتهم لإنارة الطريق أمامهم وتوضيح الحقائق لهم كما أشار الحق سبحانه وتعالى في كتابه المكنون بوجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية و عدم التفريق بين الرسل والإقرار بأن الإله واحد وأن الجميع له مسلمون . وتبدو هذه المعلومات المؤثلة ظاهرة جلية في قول الباري عز وجل في الآيات الكريمة التالية :

قال تعالى : **﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾** (٢١) .

قال تعالى : **﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** (٢٢).

قال تعالى : **﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وماأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل**

وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (٢٣) .

الدليل العاشر :

بعد أن أشرنا في الأدلة السابقة إلى الحلقات الإسلامية التاريخية التي كان يمثلها رسل الله ومن آمن بهم من أقوامهم عن طريق إسلامهم للحق سبحانه وتعالى ، فلا مندوحة لنا من الإشارة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم حيث بعثه الباري عز وجل ليكمل دين الإسلام الذي يمثل الهدى الذي وعد الحق سبحانه وتعالى به بنى آدم عندما أمر بهبوط آدم وزوجه إلى الأرض . وقد أمر عليه الصلاة والسلام أن يعرض عن كل ما تشكل في أذهان الناس من انحراف في عقائدهم و كل ما يدعون إليه من دون الله سبحانه وتعالى ، كما أمر أن يسلم و جهه فقط لرب العالمين دون مداهنة أو مواربة ، أو التقاء فى منتصف الطريق مع الذين لم ينيبوا بعد للهدي الإلهي، ويبدو ذلك بوضوح في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ قل إنى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ (٢٤) .

في ضوء ما تقدم من الأدلة وما رافقتها من آيات بينات يبدو بوضوح وجلاء أن جميع الأنبياء والمرسلين بعثهم الحق سبحانه وتعالى إلى الإنسان عبر تاريخه بالهدى الإسلامي الإلهي المنير ليضيء له السبيل في الدنيا والآخرة ويقوي من ساعد الإنسان على مقاومة إبليس وجنده من الجن والإنس . وقد أراد البارى عز وجل أن يبدأ هذا النهج الإلهي المنير بسيدنا نوح عليه السلام ، مرورا بكافة الأنبياء والمرسلين حتى بعث للناس جميعاً خاتم الأنبياء والمرسلين بالقرآن

الكريم في اللغة العربية ، ليكون هذا القرآن وسنة الرسول الكريم الهدى الإلهي الكامل الشامل للناس جميعاً ؛ لذلك فإن الإسلام بدأ بسيدنا نوح – عليه السلام – ومن آمن معه من قومه ، وكافة الأنبياء والرسل ومن آمن معهم من أقوامهم حيث كانوا يمثلون الحلقات الإسلامية عبر تاريخ الإنسان ، حتى أراد الحق سبحانه وتعالى أن يختم المدد الرسالي بخاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن تكون الرسالة التي جاء بها لكافة الناس وناسخة لكل ما قبلها من رسالات و كتب سماوية ؛ لذلك فإن المسلم هو الذي يتبع القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم بعد بعثته صلوات الله عليه .

وهناك حقيقة سامقة لا بد من الإشارة إليها لما استقر في أذهان الناس من معلومات ومدركات خاطئة حول الإسلام ، إن الإسلام إنابة واستقامة وتفويض الأمور للحق سبحانه وتعالى واتباع كتابه الحكيم وسنة نبيه الأمين في شتى مجالات الحياة ، فهو سبيل الخير الذي يمكن أن يختاره الإنسان أو ينبو عنه بكامل إرادته ؛ لذلك فإن الإسلام لا يورث عن طريق الأبوة والمصاهرة ، والعشرة الزوجية ، وأي نوع من أنواع القرابة فقد يكون الأب مسلما والابن غيرذلك، وقد يكون الابن مسلما وأبوه غير ذلك ، وكذلك بالنسبة إلى كافة أنواع القربى . فالإسلام للناس كافة لمن أراد أن يعتقد فيه ويسلك في ضوئه ، فهو ليس حكرا لقوم دون قوم ، أو جماعة دون جماعة ، ودليلنا على ما ذكر يبدو ساطعا منيرا فى الآيات القرآنيـة الكريمة التالية: ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال ربّ إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس**

لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ (٢٦).

وقال تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾** (٢٧) .

وقال تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾** (٢٨).

وقال تعالى : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وماكسب . سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد ﴾** (٢٩) .

بينت لنا الآيات السابقة بعض أنواع القربى لبعض الأنبياء والمرسلين الذين اختطوا نهجا غير الإسلام ، فلم تنفعهم نوع القربى الدموية التي تربطهم برسل الحق سبحانه وتعالى لأن الإسلام ليس إرثا لأحد لكي يوزع على ورثته من أصحاب القربى ، كما أن الحق سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه الحكيم ان الذين يتقاعسون عن تطبيق قواعد النهج الإسلامي واتباع تعليماته سيستبدلهم بأناس آخرين يكونون أفضل منهم في تطبيقه كاملا ، ويبدو ذلك في قوله عز من قائل في الآيات الكريمة التالية :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ﴾** (٣٠).

وقال تعالى : ﴿ **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل**

الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (٣١).

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره للآية السابقة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تلا هذه الآية :

﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إذا تولينا استبدل بنا ثم لا يكونا أمثالنا ؟ قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال : « هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس » (٣٢).

وفى ضوء ذلك نجد الفهم السديد للإسلام عند ابن الإسلام وفارسه ، إمام المتقين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما وصف الإسلام بالكلمات التالية : «الإسلام هو التسليم ، والتسليم هواليقين، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل الصالح »(٣٣).

وبعد كل ما ذكر كيف يعقل عاقل بأن الإسلام يورث من إنسان إلى آخر عن طريق مراكز إخراج شهادات الميلاد ، أو من جيل إلى آخر دون الاعتقاد والتسليم للنهج الإلهي وانعكاس ذلك الاعتقاد والتسليم في كافة مناحي الحياة ، إن السواد الأعظم من المسلمين ألفوا مع مرور الزمن وتداخل العادات والتقاليد المحلية والأجنبية، هذا بجانب الغزو الفلسفي السابق والغزو الثقافي الحالي ، أمورا كثيرة في شتى المجالات ، بعيدة كل البعد عن الإسلام وتعاليمه ولكنها من المؤسف جدا قد استقرت في أذهانهم على أنها تتفق مع الإسلام وتعليماته ، لذلك كانت الكتابة عن الإسلام وطبيعته ، ودار الإسلام وخصائصها ، والدولة الإسلامية وميزاتها ، والمجتمع المسلم وسماته

تعد من أصعب المهام التي يمكن أن يقوم بها الإنسان .

بعد أن فرغنا من الحديث عن حقيقة الإسلام وتاريخه لا بد لنا من الإشارة إلى سمات المجتمع المسلم في الوقت الذي اختلطت فيه الأوراق ، وتاهت الأقلام عن جادة الطريق ، واستقرت الأضداد في أذهان عامة الناس ، وظهرت الأقلام المأجورة التي استغلت هذه المعطيات للنيل من الإسلام وأهله ، إن هذه المعطيات الغريبة شكلت مفهوما شاذا في أذهان الناس عن الإسلام والمجتمع المسلم ، لذلك ليس غريبا أن نجد أن بعض المجتمعات والأفراد تعلن ظاهرا أنها مع الإسلام وأتباعه ، وهي في حقيقتها تشوه الإسلام وتحاربه وتضيق الخناق على أتباعه بكافة الطرائق التي توصل إليها البشر ، ونصبت من نفسها شرطيا أمينا على خدمة مصالح أعداء الإسلام في ديارالمسلمين .

وقبل أن نوضح خصائص المجتمع المسلم لابد من الإشارة إلى بعض آراء السلف الصالح في هذا الموضوع لنصل إلى المراد بعون الله دون الإسهاب والإطناب .

يرى الطباطبائي رحمه الله : (أن التاريخ الإسلامي –فيما عدا فترة قصيرة منه – لا يمثل الإسلام في كثير من خطوطه .... ولا يصح أن نحمل الإسلام تبعات أخطاء المسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي) (٣٤) .

ويرى سيد قطب رحمه الله :(أن الإسلام تصور مستقل للوجود والحياة ، تصور كامل ذو خصائص متميزة ، ومن ثم ينبثق منه منهج ذاتي مستقل للحياة كلها ، بكل مقوماتها وارتباطاتها ، ويقوم عليه نظام ذو خصائص معينة ... هذا التصور يخالف مخالفة أساسية سائر التصورات الجاهلية قديما وحديثا ، وقد يلتقي من هذه التصورات في جزئيات عرضية جانبية ، ولكن الأصول التي تنبثق منها هذه الجزئيات مختلفة عن سائر ما عرضته البشرية من نظائرها ....

وليست وظيفة الإسلام إذن أن يصطلح مع التصورات الجاهلية السائدة في الأرض، ولا الأوضاع الجاهلية القائمة في كل مكان.... لم تكن هذه وظيفته يوم جاء ، ولن تكون هذه وظيفته اليوم ولا في المستقبل ... فالجاهلية هي الجاهلية ، الجاهلية هي الانحراف عن العبودية لله وحده وعن المنهج الإلهي في الحياة ، واستنباط النظم والشرائع والقوانين والعادات والتقاليد والقيم والموازين من مصدر آخر غير المصدر الإلهي... فالجاهلية هي عبودية الناس للناس ، بتشريع بعض الناس للناس ما لم يأذن به الله ، كائنة ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع ... والإسلام هو عبودية الناس لله وحده بتلقيهم منه وحده تصوراتهم وعقائدهم ، وشرائعهم وقوانينهم وقيمهم وموازينهم والتحرر من عبودية العبيد ... لذلك فإن هناك نظاما واحدا هو النظام الإسلامي وما عداه من النظم فهو جاهلية ... وإن هناك شريعة الله وما عداها فهو هوى... وإن هناك حقا واحدا لا يتعدد ، وما عداه فهو ضلال ... وإن هناك دارا واحدة هي دار الإسلام ، تلك التي تقوم فيها الدولة المسلمة،فتهيمن عليها شريعة الله، وتقام فيها حدوده ، ويتولى المسلمون فيها بعضهم بعضا ... فلاوطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله ، فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس الارتباط في الله ، ولا جنسية للمسلم عقيدته التي تجعله عضوا في الأمة المسلمة في دار الإسلام ، ولا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبثق من العقيدة في الله ، فتصل الوشيجة بينه وبين أهله في الله ... منذ جاء الإسلام لم يعد وطن المسلم هو الأرض ،انما عاد وطنه دار الإسلام ، الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها ، الدار التي يأوي إليها ويدافع عنها ويستشهد لحمايتها ومد رقعتها ... والأرض التي لا يهيمن فيها الإسلام ولا تحكم فيها شريعته هي دار الحرب ... يحاربها المسلم ولو كان فيها مولده وفيها

قرابته ، وأمواله ومنافعه ، وكذلك حارب محمد صلى الله عليه وسلم –مكة– وهي مسقط رأسه وفيها عشيرته وأهله ، وفيها داره ودور أصحابه وأموالهم التي تركوها ، فلم تصبح دار إسلام له ولأمته إلا حين دانت للإسلام وطبقت فيها شريعته ... إن الأمة التي يكون من الرعيل الأول فيها أبو بكر العربي وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وإخوانهم الكرام ، والتي تتوالى أجيالها على هذا النسق الرائع ... الجنسية فيها هي العقيدة ، والوطن فيها هو دار الإسلام ، والحاكم فيها هو الله ، والدستور فيها هو القرآن... إنه لا إسلام في أرض لا يحكمها الإسلام ولا تقوم فيها شريعته ، ولا دار إسلام إلا التي يهيمن عليها الإسلام بمنهجه وقانونه، وليس وراء الإيمان إلا الكفر ، وليس دون الإسلام إلا الجاهلية)(٣٥).

ويرى أبو الأعلى المودودي عليه رحمة الله أن خصائص الدولة الإسلامية هي :

١– ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية ، فإن الحاكم الحقيقي هو الله ، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده ، والذين من دونه في هذه المعمورة إنماهم رعايا في سلطانه .

٢– ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع والمسلمون جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا ولا يقدرون أن يغيروا شيئا مما شرع الله لهم .

٣– إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون المشروع الذي جاء به النبي من عند ربه مهما تغيرت الظروف والأحوال والحكومات التي بيدها زمام هذه الدولة ، ولا تستحق طاعة الناس إلا من حيث إنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه (٣٦).

إن كل من سنحت له الظروف أن يطلع على كتاب الله العزيز وسنة نبيه الأمين ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجتمعه الفاضل ، لن يجد نصبا في تحديد معالم المجتمع المسلم الأساسية بالرغم من المتاهات والمدركات الخاطئة التي دونت في الكتب والمجلدات ، وما تعج وتموج به الأذهان الغافلة ، وما تفتريه وسائل الاعلام والصحافة من مفتريات وتخرصات لتثبيت ما استقر في أذهان الناس من مفاهيم هابطة عن سمات المجتمع المسلم ، فالمجتمع الذي يتبع نهج الحق المنير سبحانه وتعالى في شتي أموره الحياتية لابد أن يتميز عن بقية المجتمعات الأخرى ، كيف لا ؟ وهو ينعم باتباع مورد الحق والحقيقة الذي يضيء لأفراد المجتمع كافة السبل والطرق المؤدية إلى الفوز والفلاح في الحياة الدنيا والآخرة ، وبهذا يكون المجتمع المسلم قد حقق الأهداف التي تربطه بحياته الدنيا والأهداف التي تربط كافة أفراده بمستقبلهم في الآخرة ، وهذه الحالة لن تتوفر إلا لأبناء وأفراد المجتمع المسلم ، لذلك فإن المجتمع الإسلامي يتميز على غيره من المجتمعات في الصفات المؤثلة التالية :

١- تطبيق القانون الإلهي في شتى نواحي الحياة على كافة أفراد المجتمع دون استثناء لحاكم أو محكوم ، ودليل ذلك يظهر بوضوح في الآيات القرآنية الكريمة التالية : قال تعالى :

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ (٣٧).

وقال تعالى :

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ (٣٨).

وقال تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٣٩).

وقال تعالى :

﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (٤٠).

وقال تعالى :

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ (٤١).

٢- المثول أمام القوانين والأنظمة بالتساوي لكافة أفراد المجتمع والحكم فيما بينهم على أساس العدل والمساواة في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة ، ودليل هذه السمة المجيدة المؤثلة يكمن في قوله عز من قائل في الآيات التالية :

قال تعالى :

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ (٤٢).

وقال تعالى :

﴿ ... وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ (٤٣).

ويوضح لنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام هذه السمة السامقة للمجتمع المسلم في قوله : « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (٤٤).

٣- المجتمع المسلم لا يعرف التجزئة طريقا إليه سواء أكان المجتمع صغيرا أم كبيرا ، ولا يعرف هذا المجتمع تعدد القيادات

والولاءات ، فهو مجتمع واحد ، الولاء فيه للحق سبحانه وتعالى ورسوله والمؤمنين ، ذو قيادة واحدة مطاعة طالما تطبق شريعة الله كاملة في المجتمع ، إن الحق سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه الحكيم ان الذين يسلمون أمرهم لله سبحانه وتعالى ويفوضون أمورهم إليه ، ويتبعون نهجه القويم الذي ارتضاه لكافة الناس في شتى أمورهم الحياتية يكونون قد نالوا شرف الانضواء تحت راية حزبه تعالت وجلت قدرته دون غيرهم من الناس ، فهذا التجمع لا يمكن أن ينقسم على نفسه وتتعدد ولاءاته وقياداته ، ودليلنا في ذلك يكمن في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٤٥) .

قال تعالى :

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (٤٦).

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (٤٧).

لذلك فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه احتج على الأنصار في سقيفة بني ساعدة عندما قالوا منا أمير ومنكم أمير ، فقال لا يجوز لها قرنان (أي أميران) حيث انتهى الأمر إلى اختيار قيادة واحدة.

٤- لا يوجد في المجتمع المسلم مكانة للتفوق العرقي والنعرات الإقليمية ، فهوية الجميع ، وجنسيتهم ، وعقيدتهم ، وشريعتهم فقط الإسلام ، فالإسلام لكافة الناس والذي يعتقد فيه يعلم يقيناً أن كل الناس يعودون نسبا لسيدنا آدم والمفاضلة بين ذريته تعود

فقط إلى تقوى الله وليس بالنزوع إلى نظرية الاستعلاء والاستكبار المحرمة شرعا والتي تغذيها النزعات القومية وما يدور في فلكها من توجهات إقليمية غرضية ، شهوية ، ودليل هذه الصفة المؤثلة المجيدة يبدو ظاهرا جليا في قوله عز من قائل :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... ﴾(٤٨).

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة هذه السمة السامقة للمجتمع المسلم حيث ركز في حديثه وتوجيهاته في عدة مواقع ومناسبات على أهميتها بالنسبة لأفراد المجتمع المسلم ، وسوف نورد بعضا من هذه الأحاديث الشريفة كدليل قاطع على ما ذكرنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٤٩) .

« أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » (٥٠).

«المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى »(٥١).

٥- إن شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من أسمى صفات المجتمع المسلم، وبهذه السمة المجيدة المؤثلة أمست الأمة المسلمة التي شكلها محمد صلى الله عليه وسلم في مدنيته الفاضلة تتبوأ أعلى مرتبة بشرية بين الأمم ، وقد وصفها الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم حيث قال :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾ (٥٢).

وقد وصف لنا الحق سبحانه وتعالى المؤمنين في عدة مواقع في كتابه العزيز بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر نذكر منها قوله عز من قائل :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (٥٣).

أما أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع فسنذكر بعضا منها لتوضيح المراد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان » (٥٤) .

« إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » (٥٥) .

٦- نظام الشورى يشكل الاسلوب الاداري في المجتمع المسلم في اتخاذ القرارات واتباع الوسائل والطرق المتعددة في القضايا الحياتية التي لا يوجد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة. ودليلنا في ذلك يعود إلى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٥٦).

قال تعالى : **﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾** (٥٧).

ويقول إمام المتقين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سألت يوماً رسول الله لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكما في القرآن أو نسمع منك فيه شيئاً ، فماذا نفعل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أجمعوا العابدين من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأي واحد »(٥٨).

وسيرة نبينا الكريم تفيض بالمعلومات والمناسبات التي تشير إلى ممارسة نظام الشورى نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر ، مشورته لأصحابه في غزوة بدر ، وأحد ، والأحزاب .

٧- الولاية في المجتمع المسلم تكون فقط لله ورسوله ، وأولي الأمر ، وسائر المؤمنين في شتى أنواعها سواء أكانت على المستوى الفردي أم الجماعي ، وعلى المستويين الداخلي والخارجي . ولا يجوز لمجتمع مسلم أن تكون ولايته أو تبعيته لأي مجتمع كان ، مهما كانت الظروف والمناسبات لأن الله سبحانه وتعالى حرم هذا النوع من الولاية على سائر المؤمنين . ودليلنا في ذلك يبدو بوضوح في قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾(٥٩).

وقال تعالى : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .... ﴾** (٦٠).

وقال تعالى :**﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** (٦١) .

٨- يعد الجهاد في سبيل الله من أبرز صفات المجتمع المسلم لما لهذه الصفة من مكانة سامقة عند الله للذين يتخذونها طريقا توصلهم إلى أسمى و أقرب الدرجات عند الله سبحانه وتعالى. وبالرغم مما دار

حول هذه الكلمة المقدسة من مهاترات ومفتريات من قبل أعداء الإسلام وأتباعهم، فيكفي المسلمين شرفاً أنهم عن طريق الجهاد بطرقه المتعددة يريدون أن يقدموا النهج الإلهى المنير إلى أبناء جنسهم ليكونوالهم إخوة في الله يتساوون معهم في كافة الحقوق والواجبات، ويفوزوا جميعا بنعيم الدنيا والآخرة . ولكن ماذا نقول للذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا ، وجعلوها مبلغ علمهم ومركز اهتماماتهم . فسر الاختلاف بين المسلمين وغيرهم من البشر يعود إلى نظرة كل طرف الى حقيقة الحياة الدنيا . ففي الوقت الذي ينظر فيه المسلمون الى الحياة الدنيا على أنها مقدمة للحياة الخالدة ، فإن غيرهم من الناس تنتهي آمالهم و طموحاتهم داخل إطار الحياة الدنيا . إن الحق سبحانه وتعالى أخبرنا في كتابه العزيز أن الحياة الدنيا تعد دار ابتلاء وامتحان للإنسان . وفي ضوء سلوك الإنسان في الحياة الدنيا يترتب عليه مصيره في دار الخلود . لذلك فالجهاد في سبيل الله يعد من أقصر الطرق وأفضلها للوصول الى الغاية النبيلة التي يتمناها كل ذو لب وجنان ، وهي الفوز برضى الحق سبحانه وتعالى ودخول جنته التي أعدها للمتقين من عباده . لذلك فإن الحق سبحانه وتعالى فرض الجهاد على عباده المتقين ليأخذ بيدهم الى أسرع وأفضل السبل في الوصول الى الجنة . ودليل ذلك يبدو بوضوح و جلاء في قوله عز من قائل في الآيات التالية :

قال تعالى : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرلكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ (٦٢) .

وقال تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن**

أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾(٦٣).

وقال تعالى : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاوجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ (٦٤).

وقال تعالى : ﴿ **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما ﴾** (٦٥) .

وقد خاطب الحق سبحانه وتعالى الذين يتقاعسون عن تأدية واجبهم الجهادي في سبيله بعدة أساليب لكي يدركوا أهمية هذه الفريضة وما تجلبه عليهم من سعادة و نعيم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى :﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾** (٦٦).

قال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾** (٦٧) .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾** (٦٨) .

وقد أعطى الحق سبحانه وتعالى مكانة خاصة للذي يستشهد في سبيله دون غيره من الناس لما لهذه الفريضة من منزلة رفيعة عنده سبحانه وتعالى . ودليل ذلك يبدو في الآيات الكريمة التالية :

قال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله**

من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٦٩) .

قال تعالى :**﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾** (٧٠).

وقد علمنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فريضة الجهاد و أهميتها فعلا وقولا . فعلا عن طريق الغزوات العديدة التي قادها ضد أعداء الإسلام ، وقولا عن طريق ما وصلنا عنه صلوات الله عليه من أحاديث نبوية طاهرة . وسوف نورد بعضا من هذه الأحاديث النبوية الشريفة لنصل بعون الله الى المراد .

« سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل؟ قال : « إيمان بالله ورسوله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » قيل ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »(٧١).

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي العمل أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » (٧٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله » . قال : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله و يدع الناس من شره » (٧٣) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«رباط يوم في سبيل الله خيرمن الدنياوماعليها، وموضع سوط أحدكم من الجنةخيرمن الدنيا وماعليها،والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوةخيرمن الدنياوماعليها» (٧٤).

لذلك فإننا نجد ابن الإسلام وفارسه قد فهم حقيقة الجهاد من كتاب الله وسيرة معلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومارسه

فعلا في حياة رسول الله ، وقد شهدت له الغزوات والمعارك أي نوع من الفرسان كان . فإذا ما تصفحنا التاريخ الإسلامي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدناه من أبرز فرسان غزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر . لذلك ليس غريباً أن يصف لنا إمام المتقين الجهاد في كلماته المعبرة الدقيقة حيث يقول : « أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء.وديث بالصغار والقماءة ، وضرب على قلبه بالاسداد ، وأديل الحق منه بتضيع الجهاد » (٧٥) .

القومية

بعد أن فرغنا من الحديث عن تاريخ الإسلام وماهيته وخصائص المجتمع المسلم وميزاته ، لا بد من الشروع في توضيح مفهوم القومية بشكل ساطع منير ليتسنى لنا توضيح معالم العلاقة بين الإسلام والقومية . ولقد رفع الإنسان شعار القومية عبر تاريخه المديد وما زال يشد هذا الشعار انتباه واهتمام الكثير من الناس بالرغم من عدم وجود مفهوم تام لهذا المصطلح وما يعكسه من آثار واسعة على معتقداتهم.

فكلمة قومية مشتقة من كلمة قوم التي يجوز الإشارة اليها بالتأنيث والتذكير سواء . والقوم تعني الرجال والنساء الذين ينحدرون من جد واحد . والقوم يميزهم عن غيرهم من الأقوام رابطة الدم ، ومكان الإقامة ، والعادات والتقاليد المتداولة فيما بينهم . وهذه الأمور جميعها هي التي تؤسس عليها أفكار القومية حيث تؤدي إلى إبراز الطابع الخاص لهؤلاء القوم دون غيرهم من الناس .

فالقومية كما هي معرفة في قاموس علم الاجتماع لهنري فير

تشيلد : «هي جماعة من الناس تربطهم روابط واضحة من الثقافة المتجانسة . والقومية الصحيحة تستمد حيويتها من شعور أفرادها بوحدة نوعهم ، ومن التشابه الأساسي بين تقاليدهم وطباعهم . ومن مقومات القومية ، تجانس الخصائص الثقافية إن لم تكن وحدتها الكاملة ، وكذلك تجانس النظم الأساسية ، كاللغة والدين ، ووسائل الزينة ، والقانون الخلقي ، والنظام السياسي ، ونمط الأسرة ، والقيم والمثل ، ويشعر الأفراد المنتمون لقومية ما برابطة التعاطف فيما بينهم شعورا يختلف عما يحسون به نحو أفراد قومية أخرى ، ويحسون بالرغبة في أن يعيشوا معيشة مشتركة »(٧٦).

ويبين لنا داعية القومية العربية في القرن العشرين ساطع الحصري في كتابه (ماهي القومية) أهم الأسس التي تبنى عليها لحمة القومية حيث يقول (إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ . لأن الوحدة في هذين الميدانين ، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع ، ووحدة الآلام والآمال ، ووحدة الثقافة ، وبكل ذلك ، تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة ، متميزة عن الأمم الأخرى . ولكن لا الدين ، ولا الدولة ، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية) (٧٧) .

ويعرف ميشيل عفلق القومية قائلا « القومية للشعب كالاسم للشخص والملامح للوجه ، هي قدر قاهر يسير مجموعة من البشر في مجرى الحوادث والظروف بصورة فريدة ، وينسج عليه غلافا من الصفات متميز الشكل . وكما أن من العبث أن يضيع المرء عمره في اللهف والأسف –لو ولدت في غير هذا البيت ووجدت على غير هذه الصورة– فإن من الجهد الضائع أيضا أن يحاول الإنسان التحلل من رباط قوميته التي أحكمت شدها به أصابع القرون (٧٨) .

ويرى منيف الرزاز أن القومية هي : « شعور بحياة واحدة ،

مصير واحد ورسالة واحدة و عقلية واحدة » (٧٩) .

بينما يرى الكاتب يوسف خليل في كتابه « القومية العربية و دور التربية في تحقيقها » أن القومية تعني « ضرب من العاطفة الإجتماعية ، تقوم دعائمها على مشاركة أعضائها بعضهم بعضاً ، في قيم معينة »(٨٠) .

« المدلول الاصطلاحي للقومية تعني الانتساب إلى قوم معين أو نزعة تربط الفرد بقوم تتكون فيما بينهم روابط متجانسة ومتشابهة، وتوحد بينهم الأهداف ، والمصير ، والآمال، والتقاليد ، والعادات» (٨١).

واضح من التعريفات السابقة والتي اخترناها كنماذج متعددة حول القومية و أهدافها أن هناك غموضاً واضحًا في ماهية القومية والأسس المكونة لها ، كما أن هناك قلة وضوح فيما تسعى إلى تحقيقه القومية .هذا بالإضافة الى أن هناك خلافا بين المؤرخين حول تاريخ نشوء القوميات . فمنهم من اعتقد أن القومية ظهرت الى حيز الوجود في القرن الثاني عشر الميلادي ، ومنهم من اعتقد ان القرن التاسع عشر للميلاد هو فترة بزوغ القومية في أوروبا . ولكن حقيقة تاريخ القومية يرجع الى بداية تاريخ الإنسانية ، وهذا الاعتقاد سوف نوضحه بالتفصيل عندما نتحدث بعون الله عن علاقة القومية بالإسلام في الصفحات القادمة .

يلاحظ من التعريفات السابقة للقومية أنها تركز على الانتماءات العرقية والتي تجعل من الناس مجموعات متعددة تنطوي تحت شعارات قومية دون الالتفات الى المدارس الفكرية التي قد تجمع قسما كبيرا من الناس من مختلف القوميات تحت إطار فكري واحد . لأن أهم المرتكزات الأساسية التي تبنى عليها القومية هي رابطة الدم أو نظرية العرق التي تربط كافة أبناء القوم الواحد . وهذه النظرة على

حدة تكون فهما أنانيا ، واستعلائيا، واستكباريا في أذهان أبناء القومية الواحدة . وهذا ما يؤدي بالتالي الى الصراعات الدموية والتي ينتج عنها القتل ، والسلب، والطرد ، والتعذيب، والاسترقاق ، والعبودية ، والاستغلال والى غيرها من الأمور التي عانت منها الإنسانية عبر وجودها التاريخي . لقد أفسدت العصبية العرقية البغيضة أفكار جهابذة الفكر والفلسفة اليونانية أفلاطون وارسطو حيث نادى كل واحد منهما بتفوق العنصر اليوناني على بقية الشعوب والأقوام الأخرى . « يقسم الجنس البشري من وجهة نظر اليونانيين الى ثلاثة أنواع : النوع الأول ، طبقة الأحرار وهولاء هم الجنس اليوناني ، والنوع الثاني ، الاجانب ، وهؤلاء هم الأقوام الأخرى عدا الجنس اليوناني ، والنوع الثالث ، العبيد، فهم الذين استرقوا من قبل اليونان في الحروب . ويقرر أفلاطون في كتابه (القوانين) أن النوع الثالث من البشر كتب عليهم الذل . وهذا الذل المكتوب عليهم يقضي بحرمانهم من حق المواطنة وإجبارهم على الطاعة والخضوع للأحرار من ساداتهم أو من سادة الغرباء . ومن يتطاول منهم على سيد غريب سلمته الدولة اليه ليقتص منه كما يريد »(٨٢) .

« أما ارسطو فإنه يرى أن هناك فصيلتين من الناس : الأولى فصيلة اليونان وهي مزودة بالعقل والإرادة وقد فطرت على التقويم الكامل وهي سيدة على سائر المخلوقات . أما الفصيلة الثانية فهي تمثل جميع البشر ما عدا العرق اليوناني ، فلم تزود بالعقل والإرادة وإنما أعطيت قوة جسمانية . وقد فطرت على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة الأولى اليونانية المختارة»(٨٣).

« ... يعتقد القومي ، بأن أمته يجب أن تسيطر على الأمم الأخرى سيطرة كاملة ، أو تكون لها بينها الكلمة العليا على الأقل ، بل وإن لأمته أن تتخذ الخطوات الحاسمة الكفيلة بتحقيق ذلك » (٨٤) .

«ومما هو جدير بالذكر والملاحظة ، أن جميع الآراء التي أبديت والأبحاث التي نشرت في « الفكرة القومية » وفي « مبدأ حقوق القوميات » خلال القرن التاسع عشر ، كانت تنحصر بالشعوب الأوروبية وفروعها ، ولم تشمل الشعوب الآسيوية والإفريقية . لأن جميع المفكرين الأوروبيين كانوايزعمون أن تلك الشعوب ليست « متأخرة » فحسب بل هي « محرومة من قابلية التقدم والتمدن » أيضا . ولذلك فهي لا تستحق الحقوق التي تستحقها الشعوب الأوروبية . حتى الكتاب الذين كانوا التزموا مبدأ « حقوق القوميات » أشد الالتزام ، وتحمسوا له أشد التحمس ، لم يخرجوا بآرائهم في ذلك خارج نطاق الأوروبيين ، ولم يسلموا بمثل تلك الحقوق للشعوب الآسيوية والإفريقية » (٨٥) .

وفي ضوء ما تقدم يبدو بوضوح و جلاء ان شعار القومية يعني سباقا حرا لا يضبطه نظام بين سائر الأقوام بهدف الوصول إلى المرتبة الأولى أو المراتب المتقدمة بين الأقوام لاستغلال تلك المرتبة في إذلال الآخرين وسلبهم حقوقهم التي جسدت فيهم كمخلوقات بشرية . فماذا يعني إذكاء روح الجرمانية في ألمانيا، والفارسية في إيران ، والطورانية في تركيا ، واليونانية في اليونان ، والمارونية في لبنان ، والعربية وغيرها من القوميات الأخرى سوى إثارة الفتن ، والحروب الدامية ، وزرع بذور الكراهية بين أبناء الجنس الواحد . إن أي نظرة فاحصة مخلصة لما حدث في تاريخ البشرية من مصائب و أهوال يرجع أغلبها الى النظرة الاستكبارية التي مارسها قوم ضد آخرين من البشر . وإذا أمعنا النظر في أغلب الحروب التي وقعت في القرن العشرين نجد الأسباب الرئيسية وراء حدوثها يعود إلى الاستكبار والاستعلاء في نفوس قوم على قوم أو عدة أقوام آخرين . إن أهم المرتكزات التي تبنى عليها القومية هي رابطة الدم أو نظرية

العرق التي تربط كافة أبناء القوم الواحد . ودليل ذلك يكمن فى أنه لو توفرت عند فئة من الناس كافة المرتكزات الأخرى للقومية من عادات ، وتقاليد ، ولغة ، وتاريخ ، وأهداف ، إلى غيرها من المرتكزات دون استيفاء رابطة الدم ، لن يسمح لها أن تنتمي الى قومية تشاركها في كافة المرتكزات القومية ما عدا رابطة العرق . وهذا يدل بشكل قاطع على النظرة الاستعلائية والاستكبارية التي يكنها أبناء كل قوم لأبناء الأقوام الأخرى.

لقد تناسى دعاة القومية أو جهلوا حقيقة أولى هي من أبرز سجايا النفس البشرية وهي حرية الاعتقاد ، والتفكير ، والاختيار بين السبيلين . لقد جسد خالق الإنسان حرية الاختيار في الذات الإنسانية بعد أن وهبها الملكة العقلية التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يميز بين الخير والشر بعد أن وضحهما الحق سبحانه وتعالى للإنسان . لذلك فهي من المسلمات الأولى أن يعتقد الإنسان في ضوء ما اختار لنفسه من معتقدات وأفكار يود أن يعيش في ظلالها في كافة أموره الحياتية . ومثالا على ذلك نأخذ الإنسان العربي فله الحرية في أن يختار أحد السبيلين كما هو الحق لأبناء جنسه من البشر فالإنسان العربي قد يكون مسلما إذا أناب واستقام للحق الذي أرسله الباري عزوجل هدى ورحمة للناس جميعا . وفوض أمره لخالقه ، وسار في ضوء النهج الإسلامي في شتى أموره الحياتية . وقد يكون الفرد العربي شيوعياً عند ما يؤمن بالفلسفة الشيوعية كنظام حياة و يمارسها في أموره الحياتية . والعربي قد يكون رأسمالياً عند ما يعتقد بالفلسفة البراجماتية ويتخذها قاعدة لانطلاقاته الفكرية والسلوكية في شتى أمور الحياة . وللإنسان العربي الحق في أن يختار ما يريد من المعتقدات والأفكار سواء أكانت شرقية أم غربية ، ماركسية أم ماوية ، هندية أم إغريقية ، ديوية أم لينينية . فجميع هذه المعتقدات والأفكار المتضادة

والمتعاكسة حول كافة القضايا الوجودية التي تهم الإنسان لا تسلب الإنسان العربي رابطته العرقية أو الدموية مع أبناء جنسه ، لأنهم جميعا ينتمون الى قوم واحد ورابطة دم واحدة مع اختلاف معتقداتهم ، وأفكارهم ، وأنماط سلوكهم ، وأهدافهم . والسؤال الذي يبرز الى الذهن مباشرة . كيف يمكن لقومية عربية أم غير عربية ان تحتوي على أفراد من العرب عرقاً ودماً ، ويعتقدون بكافة الأطر الفكرية والمدارس الفلسفية التي عرفها البشر ، وما يترتب على هذه المعتقدات من أنماط سلوكية متغايرة وأهداف دنيوية متعاكسة ؟كيف يمكن ان تجمع كافة المدارس الفلسفية وما ينتج عنها من معتقدات، وأهداف ، وأنماط سلوكية مع النهج الإسلامي وما يعكسه من معتقدات ، وأهداف ، وأنماط سلوك عند معتنقيه ؟ كيف يمكن أن يتم الجمع بين طريق الخير ، وطريق الشر في بوتقة واحدة؟ كيف يمكن أن يتم الجمع بين حزب الله وحزب الشيطان ؟ كيف يمكن أن تجمع هذه الأضداد في مجتمع واحد وفي وقت واحد تحت وطأة دعوة عاطفية جامحة شعارها نظرية العرق أو رابطة الدم ؟ إن الذي يود أن يسعى إلى جمع تلك الأضداد كالذي يود أن يجمع بين الليل والنهار في وقت واحد ومكان واحد ، إن الجمع بين تلك الأضداد لن يكون إلا على حساب بعضها بعضا ، فالجمع بين جمع الخير وجمع الشر لن يكون إلا لمصلحة طرف على حساب الطرف الآخر ، إن المجتمع الذي يؤسس بنيانه على الجمع بين التناقضات لن تكون له هوية ذاتية، ولن تكون له أهداف حياتية عامة مشتركة يسعى جميع أبناء المجتمع إلى تحقيقها، ولن تكون له فلسفة تربوية ، واجتماعية ، واقتصادية واضحة ، إن هذا النوع من المجتمعات لن يعرف التماسك ، والاستقرار ، والتقدم ، والنمو المبرمج لأن ما فيه من تناقضات سوف تعكس ذاتها في جميع أوساط المجتمع وفي كافة أموره الحياتية ، وهذا

هو حال مجتمعات دول العالم الثالث .

وهناك فكرة مؤثلة تلوح في الأفق تدر على الإنسان الخيرات والفوائد الجمة في الحياة الدنيا والآخرة ، وهذه الفكرة هي توسيع نطاق القومية الضيق إلى إطار الإنسانية الرحب ، طالما نحن البشر جميعا انحدرنا من نسل واحد وذرية واحدة . فأبونا آدم وأمنا جميعا حواء ، ونتحد جميعا تحت راية واحدة ، وشعار واحد ، ومعتقدات واحدة ضد أعدائنا نحن البشر من الأجناس الوجودية الأخرى ، لما لا يكون هذا التجمع الإنساني النبيل ضد عدو الإنسانية الأبدي إبليس ومن تبعه من جند ؟ وفي هذه الحالة تسير الأمور بشكل منطقي معقول عندما يتعاضد أبناء جنس واحد ضد أعدائهم من الجنس الآخر، إننا نعلم علم اليقين أن العدو الأكبر لآدم وذريته على مر تاريخ البشرية هو إبليس وقبيله ، إن العلم والمنطق ، يلزمان الإنسان أن يتكاتف مع أخيه الإنسان ويقف معه صفاً واحداً فى وجه عدو الإنسانية . لماذا تغيب هذه الأفكار عن أذهان دعاة القومية، والاقليمية، والشعوبية ، والعنصرية ، والفئوية والجزئية ؟ لماذا يقفون موقف العداء من كافة الأفكار التى تدعو الى وقوف الانسان مع أخيه الانسان ليشد أزره فى مواجهة عدوه الأشر ، لماذا يقفون ضد حب الإنسان لأخيه الإنسان وتعاطفه منه في كافة الأمور والقضايا ؟ لماذا يحاربون هذه الأفكار النبيلة عندما تطرح على الساحة ؟ إنها المصالح الذاتية ، والشهوات الفردية ، والنظرات الاستعلا ئية التي وشجت عليها نفوسهم فجعلتهم ينظرون إلى كل شيء من خلال تلك المصالح والشهوات الذا تية دون الالتفات إلى ما يعاني الآخرون من صراعات ، واسترقاق ، وإذلال ، وعبودية ، وهضم حقوق وغيرها من الأمور التي يندي لها جبين البشرية أسفا وندما على تلك التصرفات العنصرية والاستعلا ئية التي يروج لها دعاة الاستغلال

والاستكبار.

إن الإنسان يعلم علم اليقين ان الحق سبحانه وتعالى بعث له الهدى عن طريق رسله رحمة وهدى للعالمين لينير للإنسان دربه ويوضح له طريق الخير ويحببه فيه ويدله على طريق الشر وينهاه عنه ليشد من ساعده في مقاومة عدوه الأشر ويحرره من أحابيله ، وهمزاته ، وتسويلاته ، ومن المؤسف حقا أن نجد أكثر الناس صدقوا عن العون الذي جاءهم من عند خالقهم سبحانه وتعالى واتبعوا عدوهم اللدود حتى غدوا من جنده العابثين في هيكل الإنسانية وطموحاتها، كل هذا الانحراف عن النهج الإسلامي قام به الإنسان وهو يتذرع بالحجج الواهية التي تنم عن ضعفه ومزاجيته وهو يرفع الشعار تلو الآخر ضد النهج الإسلامي ، وأول شعار رفعه الإنسان ضد الحق ، وضد الأنبياء والرسل، وضد الخير هو شعار القومية ، وهذا ما نريد أن نقوم بتفصيله بعون الله في العدد القادم عندما نتحدث عن الإسلام وعلاقته بالقومية .

(وللبحث صلة)

الهوامش

١- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، د. عبد الستار فتح الله، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، جمهورية مصر العربية ، ص١١٤.

٢- سورة الأعراف آية ١٧٢.

٣- سورة البقرة آية ٣٨-٣٩ .

٤- سورة الأعراف آية ٣٥-٣٦.

٥- سورة آل عمران آية ١٩ .

٦- سورة آل عمران آية ٨٥.

٧- سورة الأعراف آية ٥٩.

٨- سورة يونس آية ٧١-٧٢.

٩- سورة آل عمران آية ٦٧.

١٠- سورة النساء آية ١٢٥.

١١- سورة البقرة آية ١٣٢-١٣٣.

١٢- سورة النمل آية ٢٩-٣١.

١٣- سورة النمل آية ٤٤ .

١٤- سورة الذاريات آية ٣٢-٣٦.

١٥- سورة يوسف آية ١٠١.

١٦- سورة يونس آية ٨٤.

١٧- سورة الأعراف آية ١٢٦.

١٨- سورة المائدة آية ١١١.

١٩- سورة آل عمران آية ٥٢.

٢٠- سورة القصص آية ٥٢-٥٣.

٢١- سورة العنكبوت آية ٤٦-٤٧.

٢٢- سورة البقرة آية ١١١-١١٢.

٢٣- سورة البقرة آية ١٣٥-١٣٦.

٢٤- سورة غافر آية ٦٦.

٢٥- سورة سبأ آية ٢٨.

٢٦- سورة هود آية ٤٥-٤٦.

٢٧- سورة التوبة آية ١١٤.

٢٨- سورة التحريم آية ١٠.

٢٩- سورة المسد آية ٥.

٣٠- سورة التوبة ٣٨-٣٩.

٣١- سورة محمد ، آية ٣٨.

٣٢- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، الجزء الرابع ، ص ١٩٦، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٣٣- نهج البلاغة ، الجزء الرابع ، دار المعرفة ، بيروت ، صفحة ٢٩.

٣٤- نظرية السياسة والحكم في الإسلام ، الطباطبائي ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، صفحة ٥٣.

٣٥- معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت، ١٩٨٣م .

٣٦- نظرية الإسلام السياسية ، أبو الأعلى المودودي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٥م ،صفحة ٨.

٣٧- سورة المائدة آية :٤٩ .

٣٨- سورة النساء آية ١٠٥.

٣٩- سورة النساء آية ٦٥.

٤٠- سورة المائدة آية ٤٤.

٤١- سورة المائدة آية ٥٠.

٤٢- سورة النساء آية ٥٨.

٤٣- سورة المائدة آية ٤٢.

٤٤- البخاري ، كتاب الحدود أبواب رقم ١١، ١٢.

٤٥- سورة النساء آية ٥٩ .

٤٦- سورة الأنبياء آية ٩٢ .

٤٧- سورة المؤمنون آية ٥٢.

٤٨- سورة الحجرات آية ١٣ .

٤٩- مسلم وابن ماجة .

٥٠- البيهقي وابن مردوية .

٥١- الطبراني .

٥٢- سورة آل عمران آية ١١٠.

٥٣- سوزة التوبة آية ٧١.

٥٤- مسلم ، كتاب الإيمان باب ٢٠ .

٥٥- الترمذي (كتاب الفتن) باب ١٢ ، أبو داؤد (كتاب الملاحم) باب ١٧.

٥٦- سورة آل عمران آية ١٥٩.

٥٧- سورة الشورى آية ٣٨ .

٥٨- تفسير روح المعاني ، جزء ٢٥ ، صفحة ٤٢ .

٥٩- سورة المائدة آية ٥٥.

٦٠- سورة التوبة آية ٧١.

٦١- سورة المائدة آية ٥١.

٦٢- سورة البقرة آية ٢١٦.

٦٣- سورة التوبة آية ١١١.

٦٤- سورة التوبة آية ٤١.

٦٥- سورة النساء آية ٧٤.

٦٦- سورة آل عمران آية ١٤٢.

٦٧- سورة التوبة آية ١٦.

٦٨- سورة التوبة آية ٣٨.

٦٩- سورة آل عمران آية ١٦٩-١٧٠.

٧٠- البقرة آية ١٥٤.

٧١- متفق عليه .

٧٢- متفق عليه .

٧٣- متفق عليه .

٧٤- متفق عليه.

٧٥- نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة ، الجزء الأول ، صفحة ٦٧-٦٨، بيروت .

٧٦- أبو الفتوح رضوان ، القومية العربية ، الهيئة العامة للأجهزة والكتب العلمية ، القاهرة ، ١٩٦٨م ص ١٧٧.

٧٧- ساطع الحصري ، ماهي القومية ، دار الملايين ، بيروت ١٩٥٩م ، ص٢٥١-٢٥٢.

٧٨- ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص ١١٤.

٧٩- منيف الرزاز ، معالم الحياة العربية الجديدة ،بيروت دارالعلم للملايين١٩٦٠م، ص٢٦٨.

٨٠- يوسف خليل ، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ٢٧.

٨١- حسين السيد عباس ، القومية العربية بين الفكر والواقع ، ١٩٧٣م ، ص ١٦.

٨٢- إبراهيم دسوقي ، تاريخ الفكر السياسي ، صفحة ٤١.

٨٣- حسين شحاته سعفان ، الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي ، ص ٧٨.

٨٤- بويد شيفر ، القومية عرض وتحليل، ترجمةد. جعفر خصباك وعدنان الحميدي ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بغداد - نيو يورك - ١٩٦٦م ، ص ٦٥.

٨٥- ساطع الحصري ، ماهي القومية ، ص ٢٦.